

أضواء البيان

@ 390 كاملة . والد ووالدة ، وولد كل يسلم قياده لأمره ، وإلى أقصى حد التضحية حينما قال إبراهيم لإسماعيل ما قصه تعالى علينا { يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَى } . .
إنه حدث خطير وأي رأي للولد في ذبح نفسه ، ولكنه التمهد لأمره ، فكان موقف الولد لا يقل إكباراً عن موقف الوالد : .

{ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنْ الصَّابِرِينَ }
ولم يكن ذلك عرضاً وقبولاً فحسب ، بل جاء وقت التنفيذ إلى نقطة الصفر ، كما يقال : .
والكل ماض في سبيل التنفيذ ، { فَلَا مَسَّ لَكُمْ مِنْ أَشْيَاءِهِمْ وَلَا عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ } ، يا له من موقف يعجز كل بيان عن تصويره ويثقل كل قلم عن تفسيره ، ويثقل كل لسان عن تعبيره ،
شيخ في كبر سنه يحمل سكيناً بيده ويتل ولده وضناه بالأخرى ، كيف قويت يده على حمل
السكين ، وقويت عيناه على رؤيتها في يده ، وكيف طاوعته يده الأخرى على تل ولده على
جبينه ؟ .

إنها قوة الإيمان وسنة الالتزام ، وها هو الولد مع أبيه طوع يده ، يتصبر لأمره ويستسلم
لقضاءه { سَتَجِدُنِي إِِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنْ الصَّابِرِينَ } والموقف الآن والد بيده
السكين ، وولد ملقى على الجبين ، ولم يبق إلا توقف الأنفاس للحظة التنفيذ ، ولكن رحمة
الله أوسع وفرجه من عنده أقرب ، { وَزَادَ يَدْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ قَدْ صَدَّقْتَ
الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ } . .

فكانت مناسبة عظيمة وفائدتها كبيرة خلدها الإسلام في الهدى والضحية . .
وفي رمي الجمار ، إلى آخره ، وهكذا كلها في مناسك وعبادة وقربة إلى الله تعالى في تجرد
وانقطاع ، ودوام ذكر الله تعالى . .

وهناك أحداث جسام ومناسبات عظام ، لا تقل أهمية عن سابقاتها ، ولكن لم يجعل لها الإسلام
أي ذكرى ، كما في صلح الحديبية . .

لقد كان هذا الصلح من أعظم المناسبات في الإسلام ، إذ كان فيه انتزاع اعتراف قريش
بالكيان الإسلامي مائلاً في الصلح والعهد الذي وثق بين الطرفين وقد سماه الله فتحاً ، كما
قال تعالى : { فَاعْلَمُوا مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلْ مِنْ دُونِ ذَلِكَ فَتْحًا
قَرِيبًا } .